شرح قصيدة ويا وطني لقيتك بعد يأس

تعدُ هذه القصيدة من أشهر قصائد الشاعر أحمد شوقي، فقد كتبها الشاعر لوطنه بعد غياب عنه، وعلى عادة القدماء بدأ الشاعر بمقدمة طللية في الوقوف على الأطلال وآثار الديار حيث يقول في مطلع القصيدة: أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا وَأُجزيهِ بِدَمعِيَ لَو أَثابا، وهي من القصائد الطويلة فقد بلغ عدد أبيات القصيدة 60 بيتًا، وقد نظمها الشاعر على البحر الوافر وقافية الباء المفتوحة مع ألف الإطلاق، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح قصيدة:

- **أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا**
  وَأُجزيهِ بِدَمعِيَ لَو أَثابا
  وَقَلَّ لِحَقِّهِ العَبَراتُ تَجري
  وَإِن كانَت سَوادَ القَلبِ ذابا

أقف أمام أطلال وآثار الديار الباقية وأنادي عليها عسى أن تملك إجابة وتردَّ عليَّ، وإذا ما سمعت منه شيئًا سوف تتساقط دموعي عليه كثيرًا جزاء له، وقليل في حق تلك الآثار والأطلال الدموع التي تجري من عيني، حتى لو كانت أعماق قلبي قد ذابت عليها.

- **سَبَقنَ مُقَبِّلاتِ التُربِ عَنّي**
  وَأَدَّينَ التَحِيَّةَ وَالخِطابا
  فَنَثري الدَمعَ في الدِمَنِ البَوالي
  كَنَظمي في كَواعِبِها الشَبابا

لكن دموعي التي سقطت وقبلت الأرض في هذا المكان قد سبقتني وأدَّت التحية الواجبة قبل أن أسلم وقبل أن أنطق بأي كلمة، كما أن الدموع التي تتساقط مني وهي تنتثر في كل بقعة هنا يشبه كتابتي الأشعار في هذه الديار عندما كانت فتية في مرحلة الشباب، فكلاهما يعبر عن الحب والشوق.

- **وَقَفتُ بِها كَما شاءَت وَشاؤوا**
  وُقوفًا عَلَّمَ الصَبرَ الذِهابا
  لَها حَقٌّ وَلِلأَحبابِ حَقٌّ
  رَشَفتُ وِصالَهُمْ فيها حَبابا

وقد وقفت أتأمل هذه الديار طويلًا جدًا كما شاءت هذه الديار وكما شاء الأحباب الذين كانوا فيها، وصبرت حتى أنَّ الصبر تولى وذهب، فصبري غلب الصبر نفسه، فلهذه الأرض حق وللأحباب أيضًا حق علي، وقد كنت أستمتع بلقائهم ووصالهم مثل شرب الخمرة برقة وخفة.

- **وَداعًا أَرضَ أَندَلُسٍ وَهَذا**
  ثَنائي إِن رَضيتِ بِهِ ثَوابا
  تَخِذتُكِ مَوئِلًا فَحَلَلتُ أَندى
  ذُرًا مِن وائِلٍ وَأَعَزَّ غابا

إلى الوداع يا إسبانيا يا بلاد الأندلس، وهذا شكري لكِ وثنائي إذا قبلتي هذا الشكر والثناء مني، فقد كنت قد أتيتك منفيًا واتخذت من ربوعك ملجأ فوجدت فيك كل خير، وعشت في عز ونعيم.

- **مُغَرِّبُ آدَمٍ مِن دارِ عَدنٍ**
  قَضاها في حِماكِ لِيَ اغتِرابا
  شَكَرتُ الفُلكَ يَومَ حَوَيتِ رَحلي
  فَيا لِمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابا
  فَأَنتِ أَرَحتِني مِن كُلِّ أَنفٍ
  كَأَنفِ المَيتِ في النَزعِ انتِصابا

فقد أخرجت منك كما أخرج آدم عليه السلام من الجنة، ولكن كان لا بدَّ من الخروج والعودة إلى موطني، وقد شكرتك وأثنيت عليك على الأيام التي آويتني فيها، فعجبًا من الشخص الذي يغادر هذه البلاد ويشكر الغراب، وقد وجدت فيك الراحة من أصحاب العقول الفاسدة والذين يتدخلون في شؤون غيرهم.

- **وَمَنظَرِ كُلِّ خَوّانٍ يَراني**
  بِوَجهٍ كَالبَغِيِّ رَمى النِقابا
  وَلَيسَ بِعامِرٍ بُنيانُ قَومٍ
  إِذا أَخلاقُهُمْ كانَت خَرابا

كما كنت قد ارتحت فيكِ من مشاهدة الخونة أصحاب الوجوه التي تشبه وجه البغي وهي تكشف النقاب وتفضح نفسها، ولن ينهض قوم ولن يتقدم مجتمع إذا كانت أخلاق أبنائه خرابًا فاسدة، فالأخلاق هي أساس بناء المجتمعات ونهضتها.

- **وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَأسٍ**
  كَأَنّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَبابا
  وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَئوبُ يَومًا
  إِذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإِيابا

وقد أتيت إليكَ يا وطني ولقيتك بعد أن قطعت الأمل والرجاء من العودة إليك ثانية، وكأني عندما عدت إليك رجعت إلى عهد الشباب مرة أخرى، ومن سنة الحياة أن كل مسافر سوف يرجع إلى وطنه وإلى بلده الأم إذا أعطاه الله تعالى الصحة والسلامة للرجوع.

- **وَلَو أَنّي دُعيتُ لَكُنتَ ديني**
  عَلَيهِ أُقابِلُ الحَتمَ المُجابا
  أُديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي
  إِذا فُهتُ الشَهادَةَ وَالمَتابا

ويقول الشاعر لو أنَ ساعة الموت حانت، فأنت يا وطني العزيز سوف تكون ديني الذي أدين به، وبه سوف أواجه الموت وهو النداء الذي لا بدَّ من إجابته من دون خوف أو تردد، وعندما أنطق الشهادتين أو أنطق بكلمات توبة أتوجه إليك قبل أن أتوجه إلى القبلة، وفي ذلك تعظيم وتقديس للوطن ومكانته في قلب الشاعر.

الصور الفنية في قصيدة ويا وطني لقيتك بعد يأس

ضمَّت القصيدة كثير من الصور الفنية التي تزيد النص جمالًا وتقدم المعاني بطرق أجمل للقراء، كما تُستخدَم الصور البيانية لزخرفة النصوص وتزيينها لغويًا، ولا تخلو قصيدة من قصائد الشعر منها، ولها أنواع عديدة مثّل التشبيهات والتوكيدات والاستعارات والجناس والطباق وغيرها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية في القصيدة آنفة الذكر:

- **أسلوب الكناية**: كنَّى الشاعر بالكثير من العبارات عن معانٍ مختلفة غير معاني الكلمات الأصلية كما في قوله: أُديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي إِذا فُهتُ الشَهادَةَ وَالمَتابا، كناية عن تقديس الوطن وتعظيمه.
- **استعارة مكنية**: وردت الاستعارة المكنية في قوله: أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا، فقد شبه الشاعر الرسم وآثار الديار بالإنسان الذي يمكن مخاطبته، ولكنه حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على ما يدل على إحدى صفاته وهو فعل المخاطبة والنداء.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في قوله: وَلَيسَ بِعامِرٍ بُنيانُ قَومٍ إِذا أَخلاقُهُمْ كانَت خَرابا، فقد ذكر كلمة عامر وكلمة خراب، وهما كلمتان متعاكستان في المعنى، وفي قوله أيضًا: وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَئوبُ يَومًا إِذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإِيابا، حيث أن السفر عكس الإياب.
- **تشبيه تام**: ورد في قول الشاعر: فَأَنتِ أَرَحتِني مِن كُلِّ أَنفٍ كَأَنفِ المَيتِ في النَزعِ انتِصابا، فقد شبه الأنف الذي ارتاح منه بأنف الميت في حالة الانتصاب، فكل أنف المشبه، وأنف الميت المشبه به، والكاف أداة التشبيه، ووجه الشبه في النزع انتصابًا.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة ويا وطني لقيتك بعد يأس

هنالك كثير من الكلمات التي يجدها بعض الناس صعبة الفهم في القصيدة، إذ أنَّ كثير من الكلمات التي يستخدمها الشعراء في الشعر لا تستخدم في الحياة العادية بين الناس، وذلك نظرًا لتطور اللغة العربية وتطور استخداماتها مع مرور عشرات القرون من الزمن، كما أنَّ اللهجات العامة بين الناس تختلف عن اللغة العربية الفصحى كثيرًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج معاني أهم الكلمات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
الرسم	بقايا وآثار الديار في الأرض
العبرات	الدموع
سواد القلب	عمق القلب ودواخله
الدمن	آثار الديار وتشار إلى القبور
البوالي	البالية القديمة

كواعب	الفتيات التي كعبت نهودها واستدارت والمقصود بها الديار قبل أن تصير آثارًا
سيئوب	سيعود ويرجع
فهت	نطقت وتفوهت
المتاب	التوبة
البغي	المرأة التي تأتي الفواحش
عدن	الجنة